جدليّة العلاقة بين الشّعر والسّلطة في العصر المملوكي

م.د. حاتم ريسان هاشم الموسوي

المديرية العامة لتربية النجف الأشرف – قسم التعليم المهني

almwswyhatm٠٥@gmail.com

الملخّص

لمّا كانت دراستي في مرحلة الدّكتوراه في شعر العصر المملوكي ، ذلك العصر الّذي أخذ حقبة من الزّمن ليست بالقليلة ، فكانت مئتين وخمس وسبعين سنة، سجّل فيها الأدب نتاجًا ضخمًا معبرًا عمّا جرى في البلاد، إذ حكم المماليك مصر من سنة ٦٤٨هـ – إلى ٩٢٣هـ ، وكانوا أرقاء جاءوا لخدمة الحكام العرب، ثم قويت شوكتهم وسيطروا على الحكم.

فرأيت من المناسب أن أقدم بحثًا بعنوان " **جدليّة العلاقة بين الشّعر والسّلطة في العصر المملوكي** " ، وبلا شكّ في أن للشعراء دورًا في رصد تحركات وتصرف السّلاطين المماليك، وقد انطلقت قريحتهم الشّعرية لترسم لنا صورة عن أحداث ذلك العصر، وتغنّت قصائدهم في مدح الأمراء والقادة والسّلاطين الّذين حققوا نصرًا على الأعداء عندما تعرضت مصر للغزو، فضلا عن إنجازات السّلاطين في البناء والإعمار؛ لهذا قسمت الشّعراء المادحين إلى : شعراء مادحين لا لمصلحة شخصية بل همم مصلحة البلاد، وشعراء مادحين لأجل التّكسّب والهبات والعطايا .

الكلمات المفتاحية : (السّلطان، الشّعر، الشّعراء، الأدب، مدح، الدّين، قال).

The dialectic of the relationship between poetry and power in the Mamluk era

Dr. Hatem Risan Hashem Al-Mousawi

General Directorate of Education of Najaf Al-Ashraf – Department of Vocational Education

Abstracts:

Since my study was in the doctorate stage in the poetry of the Mamluk era, that era that took a period of time that was not short, and it was two hundred and seventy-five years, in which literature recorded a huge product expressing what happened in the country, as the Mamluks ruled Egypt from the year ٦٤٨ AH – to ٩٢٣ AH, and they were

Slaves who came to serve the Arab rulers, then became stronger and took control of the government.

I thought it appropriate to present a research entitled "The dialectic of the relationship between poetry and power in the Mamluk era", and there is no doubt that poets played a role in monitoring the movements and behavior of the Mamluk sultans, and their poetic taste began to paint a picture for us of the events of that era, and their poems sang in praise of princes, leaders and sultans who achieved victory over the enemies when Egypt was invaded, as well as the achievements of the sultans in construction and reconstruction; That is why I divided the laudatory poets into: laudatory poets not for a personal interest, but rather for the interest of the country, and laudatory poets for the sake of earning, donations, and gifts.

Keywords: (Sultan, poetry, poets, literature, praise, religion, he said.)

جدليّة العلاقة بين الشّعر والسّلطة في العصر المملوكي

تراوح تأثير السّلطة في الشعّر والشّعراء والكتاب في العصر المملوكي، ما بين الهبات والصدقات التي كانت تمنح لسائر القطاعات ومنها قطاع الشّعراء ، والرّعاية المباشرة من توظيف، ويمكن الوقوف على العناوين الآتية لمعالجة هذه الجدلية :

١- علاقة السّلطة بالشّعر.

٢- الشّعر والسّلطة .

٣- الشّعراء المادحون .

١- علاقة السّلطة بالشّعر

المقصود بعلاقة السّلطة بالشّعر نظرة السّلطان واهتمامه بالشّعراء ورعايتهم وتقديم الهبات لهم، وتقريبهم من كرسي السّلطة حيث تكون الأبواب مشرعة لهم، ولم تكن هذه الظّاهرة وليدة العصر المملوكي، بل مخلفات العصر الّذي سبقهم. ومن خلال هذه العلاقة نقف على نفطتين :

أ – فضل الملوك والأمـراء :

من الأمثلة الدّالة على ذلك حكاية الشّاعر المصري جمال الدّين بن نباتة مع الملكين الأيّوبيين المؤيد، أبي الفداء، وولده الأفضل بحيث بلغت منزلته لديهما، ولا سيّما لدى المؤيد، درجة

لم يرقَ إليها شاعر آخر، باستثناء قلة بينهم أبو الطّيب المتنبي مع الأمير سيف الدولة الحمداني، وصفي الدّين الحلّي مع ملوك بني أرتُق والملك نفسه [١]، وسيأتي الكلام عليهما فيما بعد .

لقد قدّم الملك المؤيد (وهو أحد الأمراء الايّوبيين الذّين أكرمهم الملك النّاصر بن قلاوون . فأقطعه ولاية حماه وجعله ملكًا عليها لما تمتّع به المؤيد من قدرات ومناقب علمية وأدبية وخلقية رفيعة، توفي المؤيد سنة ٧٣٢هـ – ١٣٣١م .) [٢].

وللشاعر ابن نباتة كثيرًا من النّعم والمراتب والهبات عبّر عنها الشّاعر وصوّرها في شعره بأمانة تكاد تكون حرفية. وهو ما عرف لدى الشّاعر بـ (المؤيّديّات) [٣]. فقد كفاه المؤيد ذلّ السؤال وابتذال الشّعر فأجازه وأنابه وخصص له راتبًا كل عام [٤]. ثمّ توطدت العلاقة بين الملك والشّاعر، فغدا الشّاعر صفيَّ المؤيد وصاحبه ورفيقه في مناسبات عدّة، ولا سيّما مجالس الأدب والشّعر مع عدد آخر من الشّعراء والأدباء ؛ وبهذا كان على الشّاعر أن ينظم قصائده (المؤيديّات)، الّتي حملت شكر الشّاعر وطمأنينة روحه المتعطشة إلى حاكم أديب عالم كأبي الفداء فقال – من الخفيف –:

صُنتَني عن أذى الزّمان وقد حا ... ول حَربي واستكبر استكبارا

وانبرى غيثُكَ الهَتُون بجدوى ... علَّمتنـي مدائحًا لا تُبارى [٥]

ثمّ قال – من مجزوء الكامل– :

لولاكَ ما أمست قريحتي (م) الكليلةُ شاعرهْ

أنتَ الذّي روَّت غمائمهُ (م) رباي العاطره

فلقد وجدتُ ديار ملككَ (م) قهرتْ حماةُ بالسعادة عامره

لي العِدا فحماةَ عندي القاهره [٦]

ولم يكن صفي الدّين الحلّي المتوفّى ٧٥٠هـ – ١٣٤٩م أقلَّ تنعّمًا مع الملك المؤيد، من ابن نباتة، فقد حظي هو الآخر بأيادٍ بيضاء وأيّام سنيّة سال فيها مداد حبره الشّعري، وعبر عن ذلك بقصائد وموشحات حفظها لنا ديوانه المطبوع. من هذه القصائد واحدة بعنوان " الملك الجامع الفضائل"، ومطلعها – من المنسرح – :

لا راجعَ الطرْفُ باللقا وَسَنَهُ ... إن ذاق غمضا من بعدكم وسِنَهُ

ومنها :

ولـو بمَدْح المؤيـد اعتبروا لَبُـدّلتْ سيئاتُهم حسنَـهْ
الملك الجامع الفضائل والـ باذلُ في الصّالحات ما خزنَهْ
... أوسعتَ للعَبد من هباتك ما أضاف عن حَمْل بعضه عَطَنَهْ
آنَسَهُ فضلُكمْ فما طلبتْ مسكنَهُ نفسُـه، ولا سكَنَهُ
أسلاهُ عن أهله صنيعكُمُ بـه، وأنساهُ ظلُّكمْ وطَنَـهْ[٧]

وقال الحلّي، من قصيدة يشكر فيها أنعامه، وقد حمل إليه تُحفًا وكسواتِ البيت وآلاته ومهماته جميعها – من الوافر – :

وقافية شبيـهِ الشمس حُسْنَا تَرَدّدَ بين كفي اليـراع
لها فضلٌ على غرر القوافي كما فضلُ البقاع على البقاع
غدتْ تُثني على علياك لمّا ضمنت لربها نُجْحَ المساعي[٨]

ولم تكن علاقةُ شاعرنا بالملك الأفضل أقلَّ وثوقًا مما كانت عليه مع المؤيد. بل تجاوزت العلاقة كلّ المقاييس السّابقة المألوفة بحيث" تحولت إلى نوعٍ من المخالطة " الكفوءة " أو المتكافئة، فيخرجان معًا إلى الصّيد، ويلعبان برماية البندق، فتُحملُ الهدايا والتّحف من الأفضل إلى الشّاعر الّذي كان يبعث إلى الملك بغلام تركي يعتذر إليه عن الانقطاع ويبدي شغفًا بلقياه " [٩].

أمّا العلاقة التي تُعدُّ نموذجًا للعلاقات المميزة بين الشّعراء والحكّام، فهي تلك الّتي كانت للصفي الحلّي مع ملوك بني أُرتق الّذين حكموا مدينة " ماردين " من قبل سلاطين ومُنِحوا – كملوك بني أيوب في حماه– استقلالاً ذاتيًّا واسع المدى؛ دفعت الشّاعر الحلّي إلى الإقامة الطّويلة في بلادهم، يعيش مع ملوك هذه المدينة أحلى أيام عمره، بمعزل عن الفتن والحروب والمطامع الجشعة. وهكذا استقر الشّاعر في كنف بني أرتق استقرارًا نادرًا، فكان له مرتّب يتقاضاه من ملوكهم، جَمعَ منه ومن الأعطيات والهدايا ومن أرباحه التّجارية ثروة كبيرة بلغت حدود المئة ألف دينار[١٠].

فكانت قصائده " الأَرتقيات " الّتي سمّاها: " درر النّحور في مدائح الملك المنصور " – نجم الدّين أبي الفتح غازي – وهي عبارة عن تسع وعشرين قصيدةً، كل واحدة منها على حروف الهجاء، تبدأ أبياتُ القصيدة كلها، وتنتهي بحرف واحد، وهكذا القصائد التّسع والعشرون [١١].

وهذان بيتان من قصيدته الهمزية – من الكامل–:

أُلْهيتُ عن قومي بمَلكٍ عندهُ تنْسَى البنون فضائل الآباءِ

إني تركتُ النّاس حين وجدتُهُ تَرْكَ التيمُّمِ في وجود الماءِ[١٢]

هذا من حيث العطاء المادي والمعنوي الّذي رمزنا إليه بمثالين اثنين، واحد للشّاعر ابن نباتة المصري، والثاني لصفي الدّين الحلّي، والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لعرضها.

وأمّا من حيث التأمين الحياتي الدّائم فقد قامت السّلطة بما يشبه وظائفنا الحكومية اليوم، ووظّفت معظم الكتّاب والشّعراء في شتّى ميادين الخدمات الرّسمية العامة ذات النّفوذ، نورد بعض الأسماء على سبيل التأكيد، كالشّاعر ابن نباتة الّذي استطاع بفضل القاضي شهاب الدّين بن فضل الله العمري، أن يحقق حلمًا طالما راوده وهو التّوقيع في ديوان السّلطان أو نائبه. حكم السّلطان الناصر أحمد بن السّلطان النّاصر بن قلاوون.[١٣]

ومن الأسماء الأدبية الأخرى الّتي شغلت منصب عالية في دولة المماليك كلٌّ من الشّعراء " الأمير سيف الدّين أبي الحسن علي بن عمر بن قزل المعروف بـ " المُشِد " الّذي تولى شدَّ الدّواوين بمصر سنوات طوالًا"[١٤]، و" الشّاعر الشّيخ الإمام الربّاني أبي زكريا يحيى بن يوسف بن عبد السّلام الصّرصري الضّرير " والشّاعر الأمير جمال الدّين موسى بن يغمور بن بُلَيْان، الّذي رقى رتبة النّيابة، وكان أول المستشارين لدى السّلطان الظاهر بيبرس [١٥] الّذي لم يكن يصغي إلا إليه، يفعل ما يشير به عليه، وقد توفي سنة ٦٦٣هـ،[١٦]، والرئيس الشّاعر كمال الدّين أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن العجمي، كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكان من أعيان الكتّاب [١٧]، والشّاعر القاضي علاء الدّين أحمد بن عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعزّ الّذي تولى منصب القضاء، وحِسْبة القاهرة، ونظر الأحباس، فضلًا عن التدريس، وقد توفي سنة ٦٨٨هـ – ١٢٨٩م[١٨].

وذهب ياسين الأيّوبي إلى القول: إنّ هناك نقلةً نوعية حدثت لشعراء هذا العصر وكتّابه بحيث لا نكاد نجد واحدًا منهم لم يكن في أعلى الوظائف، وملقّبًا بأحسن الألقاب، كالأمير، والرئيس، والشّيخ، والصّاحب، وغيرها ممّا لم تعهده مع معظم شعراء بني العباس ولا بني أمية، على عظمة هؤلاء وطول باعهم الشّعري والسّياسي، وكله يؤكد علو المكانة الّتي عرفها الشّعراء المماليك، وتقدير السّلاطين والأمراء لعملهم وأدبهم.[١٩]

ونمثّل لذلك أيضًا بالصّاحب والوزير شمس الدّين محمد بن عثمان المعروف بابن السَّلْعُوس، أحد الشّعراء والكتّاب المقربين جدًّا من الملك الأشرف خليل بن قلاوون[٢٠] الّذي عيّنهُ الأشرف وزيرًا له المقام العالي، والحظ الأوفر من وجدان الملك " فكان إذا ركب تمشي الأمراء في خدمته[٢١]. وذكر ياسين الأيّوبي قوله: حتّى الوزير علم الدّين سنجر الشّجاعي كان يقف في خدمته[٢٢].

وفيما يتعلّق بوظائف الدّواوين، كانت هناك وظيفة كاتب الإنشاء الّتي قسّمها المماليك إلى طبقتين:

الأولى: كتاب الدّست، وهم الّذين يجلسون بين يدي السّلطان، وتحت كاتب السرّ وقد رأَسَهم في البداية، الكاتب القاضي محيي الدّين بن عبد الظّاهر، الّذي جعل كاتب الدّيوان ذا مقام عالٍ يحافظ عليه معظم سلاطين المماليك من بعد.

الثّانية: كتّاب الدّرج، وهم الموقّعون على ما يصدر عن كاتب السرّ أو الأمير أو الوزير.

وعلى هذا فإن كتابة السرّ الّتي تقلّدها عدد من الكتّاب الشّعراء، هي بمثابة وسام يعلقه سلاطين المماليك على صدور الكتّاب والشّعراء؛ لأنّهم وضعوهم بذلك في موضع لم يكن يعرفه أو يتوصل إليه خاصة السّلطان، وكبار رجال الدّولة، الّذين أُصيبوا بالغيرة والحسد الشّديدين لما كان يملكه الكاتب من أسرار، طالما سعوا هم إليها بطريقة من الطّرق. فصحّ فيه – أي كاتب السرّ – قول عبد الله بن الأزرق، إن هو وَشَى أو تلاعب بالأسرار – من الطّويل– :

فلا فرقَ عندي بين قاضٍ وكاتب وَشَى ذا بحقٍّ أو قضى بباطلِ[٢٣]

عدا الوظائف العامة التي شغلها الشّعراء والكتّاب، حظي هؤلاء بنعمة أخرى هي احتضانهم معنويّا وعمليّا من قبل السّلاطين والأمراء والكبار، فيُحسبون على البلاط أو ذاك، ويكتسبون هذه الصّفة فتلتصق بهم، كما يُلصق اللّقب أو الكنية، فيقال هذا الشّاعر أو غيره من شعراء الملك النّاصر، أو الظّاهر، أو المنصور... وهكذا. [٢٤] كما نُسب الشّاعر ابن نباتة وصفي الدّين الحلّي – في مرحلة طويلة من حياتهما – إلى البلاط الأيّوبي، لدى الملكين المؤيد والأفضل، اللذين حكما حماه في ظل دولة المماليك.

وكانتساب الشّاعر تاج الدّين التّنوخي – محمد بن عبد المنعم– المعروف بابن شُقَير إلى بلاط الملك النّاصر (صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز)[٢٥]. أو الشّاعر أمين الدّين علي بن عثمان المعروف

بأمين الدّين السّليماني الّذي وصفه ابن تغري بردي بقوله : " كان فاضلًا مقتدرًا على النّظم، وهو من أعيان شعراء الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف صاحب الشّام" [٢٦]

أو الشّاعر محمد بن يوسف التلّعفري الّذي نسبه ابن تغري بردي إلى شعراء الملك الأشرف موسى شاه أرمن الأيّوبي. [٢٧].

وقد لا نصل إلى نهاية إذا نحن تقصينا محاضن الشّعراء ومرابضهم في البلاطات والقصور، لأنّ هذا من دأب السّلطة المملوكية ومن استظل بظلها من الحكام والسّلاطين البعيدين عن مركز السّلطة في الدّيار المصرية، يكرمون الأدب وأهله، ويسعون في استرضاء النّاس وكسب تأييدهم، ومن أقدَرُ على إذاعة أخبارهم، ونشر فضائلهم من الشّعراء ؟.

من أجل ذلك لم يكتف السّلطان بالتّوظيف و" التّنسيب" وصرف المعاش، بل كان يوزع الصّدقات الدّورية على الشّعراء الذّين لم يكن لهم حظوة دائمة في الوظيفة أو " الاحتواء البلاطي " [٢٨]. ويمنح المكافآت والخلع والهدايا؛ حتّى إذا حُجبت الصّدقة عن بعض الشّعراء، ارتفع صوتهم معترضين منتقدين، كما فعل الشّاعر أبو عمرو عثمان بن سعيد المعروف " بابن تَوْلُوا " ساخرًا من قاضي مصر يومئذٍ حينما أمر بقطع صدقات الشّعراء، باستثناء الشّاعر أبي الحسن الجزار ، فقال ابن تولوا – من السّريع – :

تَقَدّمَ القاضـي لنُوّابِهِ بقَطْعِ رزقِ البَرّ والفاجرِ

ووفَّر الجزّار من بينهم فاعجبْ لِلُطفِ التيْس بالجازرِ [٢٩]

وهو القائل هاجيًا بألم ومرارة – من المنسرح :

يا أهل مصرٍ وجدتُ أيديَكُمْ عن بَسْطها بالنوالِ، منقبضَة

فمذْ عدمتُ الغذاءَ عندكـمُ أكلتُ كُتبي كأنني أرَضَـة [٣٠]

ب – تأثير السّلطة المباشر في النّتاج الأدبي

بلغ تأثير الملوك الأعيان في حياة الكتّاب والشّعراء، حدَّ التّدخل المباشر في نتاجهم الأدبي، من نظم وجمع أشعار ودواوين، واقتراح الفنون الشّعرية وأوزانها وقوافيها، أو تأليف وتصنيف أو نباتة في البلاط المؤيّدي، وتلك مأثرة أخرى من مآثر هذا العصر وسلاطينه، لا يسع الدارس نكرانها أو تجاهلها [٣١].

فأخبار ابن نباتة في البلاط الأيوبي الحموي، بادية لكل ذي اهتمام بشعره وعصره، فقد جمع وألّف وصنّف معظم نتاجه، بطلب من الملك المؤيد، مباشرة أو عن طريق كتّابه وأولياء دولته، أورد على سبيل آثاره منها : –

١ – "منتخب الهدية في المدائح المؤيديّة " وهي قصائد المدائح في الملك المؤيّد، أمره بجمعها أحد أولياء الدولة المؤيدية لتقديمها هدية إلى الملك المؤيد.[٣٢]

٢ – " سَرْح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" وهو عمل نقدي، طلبه منه المؤيد شخصيّا وألحّ عليه بقبول هذه المهمة، بعد أن اعتذر ابن نباتة، في بادئ الأمر.

٣ – " الفاضل من إنشاء الفاضل" وهو مختارات من نثر القاضي الفاضل الأدبي، الّذي سمع المؤيد مقتطفات منه، فأمر الشّاعر أن يجمع ذلك في كتاب خاص. [٣٣]

ويرى الدّكتور عمر موسى باشا أنّ أشهر آثاره النّثرية – بالإضافة إلى آثاره الشّعرية – قد وُضعت للملك المؤيد أبي الفداء، وبتشجيع منه، استنادًا إلى ما يقوله ابن نباتة نفسه في فاتحة خطبة كل كتاب[٣٤].

أمّا الشّاعر صفي الدّين الحلّي، فقد تأثره بدوره بذوق الملك المؤيد الأدبي، كان من حصيلة ذلك " أنّ نظم الصفي بعض القصائد، منها ما هو من اقتراح المؤيد في الوزن والقافية، ومنها ما كان رغبة في ارضاء ذوقه الشّعري.. وقد أملى عليه المؤيد وزنًا من الموشحات وطلب منه توشيحه بلزوم ما لا يلزم " .[٣٥]

ومن القصائد الّتي اقترحها عليه المؤيد، بحرًا وقافيةً : " الملك الجامع للفضائل" المار ذكرها أعلاه أمّا الموشح المقترح في " لزوم ما لا يلزم " فهو بعنوان" في حمى الملك "[٣٦] .

وذهب ياسين الأيّوبي إلى القول: " ولا ننسى المناسبة الّتي دفعت صفي الدّين إلى جمع أشعاره كلّها في ديوان واحد، وكان ذلك بطلب من كاتب السّرّ ورئيس كتّاب الإنشاء في بلاد الملك النّاصر محمد بن قلاوون، وبإشارة من هذا الأخير، في الموضوعات، والتّبويب، والتّرتيب، ليكون – كما يقول الصّفي في مقدمة ديوانه – ديوانًا للمحاضرة، ومجموعًا للمذاكرة؛ فأجبت بالسمع والطاعة"[٣٧].

٢ – الشّعر والسّلطــة

إذا كانت السّلطة قد مدّت الشّعراء بالألقاب والأرزاق والوظائف والمراتب العالية، فإنّ هؤلاء أيضًا، قد وفوا بالمعطيات الممنوحة الموفورة لأقلامهم، وأسهموا في حركة العمران والتّطور، ونطقوا بما ملكت أيمانهم من حب واعجاب وتعظيم للسلطان العادل القادر، المتمكن من أعدائه؛ ففاضت عواطفهم تُسطّر قصائد الثّناء والتّقدير، وترفع من مستوى النّصر، أو الإنجاز الحضاري العمراني، محققين بذلك معادلة لا بد منها : العطاء بالعطاء، والتّضحية والصّمود بالإشادة والتّقدير.

ومن طبيعة هذا العصر، أنّ حركة الشّعر فيه لم تدخل في صراعات حزبية أو حتى شعوبية، كما كانت الحال في العصرين السّابقين: العبّاسي والأموي، وجلّ ما هنالك تأييد وتعضيد لسياسة الدّولة المملوكية في حربها مع أعداء الإسلام والذّود عن حياض الدّيار الإسلامية الّتي كانت في كنفها، ومعظمها من البلدان العربية. وفي ذلك شبَهٌ كبير بحركة الشّعر في العصر الإسلامي الأول، حيث كانت المعركة محتدمة بين شعراء الدّعوة الإسلامية وشعراء الكفّار.

اضف إلى ذلك الصّدق الشّعوري الّذي يصبغ معظم القصائد " الجهادية " أو حتّى " السّلطانية" الّتي كانت تلقى في مستهل ولاية السّلاطين وما يشبهها من مناسبات قومية أو دينية. مع الصّدق الشّعور صدق فنيّ يصل أحيانًا إلى حدود الشّعر الملحمي؛ لطول بعض القصائد، واحتدام التّصوير الفني لمعارك النّصر المدوّية.[٣٨] وقد يتبادر إلى الذّهن سؤال: هل استطاع شعراء هذه المرحلة استباق الأحداث والارهاص بما يجدُّ في مقبل الأيام ، ومصائر الأمم والشّعوب ؟

والجواب بانّ معظم شعراء العربية، إن لم نقل جميعهم ، لم يؤتوا بهذه الخاصّية فيفعلوا ما فعل بعض شعراء الفرنجة المعاصرين، وبعض شعراء العرب الحديثين، في هذا الموضوع، من مثل التّنبؤ والتّعبير المسبق عمّا تؤول إليه الأحداث في الحياة الإنسانية والقومية من تحولات واضطرابات، عنيت بذلك. ولعلّ أبرز العناوين الّتي ينبغي تسجيلها، ومعالجتها في هذا المضمار :

أ – مواكبة الشّعراء للمناسبات القومية والسّلطانية.

ب – نفوذ الشّعر في الواقع، والطّموح والفضل الكبير.

ت – الشّعر النّقدي المسؤول، في مسائل التّقويم والتّقدير.

أ – مواكبة الشّعراء للمناسبات القومية والسّلطانية

لابدّ من تأكيد ناحية بالنّسبة إلى تقليد السّلاطين مراسيم السّلطنة من قبل الخليفة، وهي قيام الشّعراء بما يشبه العمل (البروتوكولي) [٣٩]. في إلقاء الخطب والقصائد، وهو عمل يدخل أساسًا في صلب مهام الشّاعر المنتسب إلى بلاطات الدّولة والمعيّن في إحدى وظائفها. من هذه الزّاوية لا أرى الانتقاص من قدر الشّعراء والكتّاب ؛ وإلّا كان علينا اليوم أن نجرد كل متحدث رسمي أو موظّف حكومي يشيد بمناقب الحاكم والحكم، من صفات الكرامة الشّخصية، ونعته بالذّيلية والارتزاق الرّخيص.

ونمثّل لهذا التّقليد الّذي أضحى عُرفا يمارس مع كل سلطان جديد بقصيدة للشّاعر الشّيخ شهاب الدّين الأعرج العدي المتوفّى ٧٨٥هـ – ١٣٨٣م ، وهو يهنئ السّلطان الظّاهر برقوق، السّلطان السّادس والعشرين في دولة المماليك البحرية يقول – من الوافر – :

تولّـى المُلكَ برقوق المفدّى بسَعْدِ الجَدِّ والأقدارُ حَتْمُ
... أتتهُ أئمةُ الإسلام طُرًّا إلـى أبوابهِ سعيًا يُــؤمُّ
وجاء لـه الخليفةُ فـي سوادٍ فسلْطَنَـه وفـي الآفاق رَغْمُ
وقلّده بسيفِ الملْك طوعًا فيا لكَ صارمًا ، ما فيه ثَلْمُ
وألْبَسهُ السّوادَ فزادَ حُسْنًا كـأنّ جبينَـه بَدْرٌ مُتِمُ [٤٠]

أمّا مواكبة السّلطان في الوقائع القومية الكبيرة، من فتح وانتصار أو هزيمة وانكسار، فقد لهجت ألسنة الشّعراء بذلك ويأتي في مقدمة أولئك الشّعراء شهاب الدّين محمود بن سلمان الحلبي الملقب بالشّهاب محمود المتوفّى ٧٢٥هـ – ١٣٢٥م ، الّذي نظم رائية طويلة، في مدح السّلطان الأشرف خليل بن قلاوون[٤١] عقب انتصاره على جيش الرّوم وفتح قلعة الرّوم إلى شمال حلب، وكان يومًا مشهودًا خلّدهُ المؤرخون والكتّاب والشّعراء ، فقال – من الطّويل –:

... صرفتَ إليهم همّةً لو صرفْتَها إلى البحر لاستولى على مدّهِ الجَزرُ
وما قلعة الرّوم الّتي حُزْتَ فتحَـها وإنْ عظُمتْ، إلّا إلـى غيره، جسْرُ
طليعةُ ما يأتي من الفتِـح بعدها كما لاحَ قبلَ الشّمس في الأفق الفجْرُ
فصبّحْتَها بالجيشِ كالروضِ بهجةً صـوارمُـهُ أنهـارُهُ والقنـا الزّهـرُ
... ولو وردتْ ماَ الفراتِ خيولُهُم لقيل هنـا، قد كـان فيما مضـى نهـرُ

أقامتْ صلاةَ الحربِ ليلًا صخورُها فأكثرُها شَفْعٌ وأكبرُها وتـرُ
فأضحتْ بها كالصّبِّ يخفي غرامَـهُ حذارَ أعاديـهِ وفي قلبِـهِ جَمْرُ
وشبّتْ بـها النيرانُ حتّى تمزّقتْ وباحتْ بما أخفتْهُ وانـهتكَ السّترُ [٤٢]

وقد لا ننصف الشّاعر إذا قلنا: إنّ هذه القصيدة موفقة فقط ؛ لأنّ ما فيها من نَفسٍ ملحمي واستعارات وكنايات فنية غنيّة بالإيحاءات، يجعلها في مصاف الشّعر العربي الرّفيع، على مستوى العصور المختلفة، حيث غاب التأنق اللّفظي والزّخرف البديعي، وتنحّى جانبًا التّعقيد اللّغوي .

وذهب ياسين الأيّوبي إلى القول : وقبل هذه الوقعة " الأشرفية " المظفّرة ، كان للشّهاب محمود حضور شعري آخر مع السّلطان الظّاهر بيبرس، أثر بطولة الظّاهر وجيشه مع جيش التّتار على الحصون والثّغور الشّمالية الشّرقية من الدّيار الشّامية ، موقعا فيهم هزائم متلاحقة ، ارتقى شعر الشّهاب إليها، فصوّر ذلك تصويرًا جميلًا شمخَ فيه صاحبه عبر النّفس الملحمي، فقال – من الكامل– :

سِرْ حيث شئتَ لكَ المُهيمنُ جارُ واحكم فطَوْع مرادكَ الأقدارُ
لم يبـقَ للدين الّذي أظهرتَهُ يا ركنهُ، عند الأعادي ثارُ
لمّا تراقصتِ الرّؤوسُ وحرّكتْ من مطربات قسيّكَ الأوتـارُ
حملتْكَ أمواجُ الفراتِ ومنْ رأى بَحْرًا سواكَ تُقلُّـهُ الأنهـارُ
شبكتْ مساعيكَ المعاقلُ والورى والتربُ والآسادُ والأطيـارُ
هذي منعتَ، وهؤلاء حميتَهُمُ وسقيتَ تلكَ وعمَّ ذا الإيسارُ
فلأمـلأنّ الدهرَ فيكَ مدائـحًا تبقى بقيتَ، وتذهبُ الاعصارُ

وليست بعيدة عن ذلك قصائد الشّاعر المملوكي موفق الدّين الأنصاري في مواكبته انتصارات السّلطان قطز رابع سلاطين المماليك [٤٣] ، وهو صاحب النّصر العظيم في وقعة عين جالوت الشّهيرة، ولم تفت الشّاعر انتصارات الملك الأيوبي المنصور الثّاني ، مشيدًا ببطولته الفائقة في المعركة، فقال – من الكامل– :

روَّيتَ أكبادَ القنا بدمائهم لمّا أطال سواك في تعطيشها

فغدا لسيفكَ في رقاب كُماتها حَصْدُ المناجلِ في يَبيس حشيشها
دارت رحى الحرب الزّبون عليهمُ فغدت رؤوسهُمُ حطامَ جريشها
وطويتَ عن مصرٍ فسيحَ مراحلٍ ما بين بُرْكتها وبينَ عريشها [٤٤]

وقبل أن نختم الكلام على هذه الفقرة المخصصة لمواكبة الشّعراء للمناسبات القومية يجدر بنا أن نقف قليلًا عند شاعر آخر واكب السّلطان المنصور قلاوون[٤٥] في غزواته ودفاعه الباسل عن الثّغور الشّامية في وجه التّتار زمن السّلطان المغولي غازان، وغطّى بعض الشّيء فُسْحةً من النّصر العسكري الواسع ، فلم يكن الشّاعر المعني وحده في معمعة الشّعر، بل شاركه آخرون من بينهم الشّاعر علاء الدّين الوداعي [٤٦] الّذي قام ساخرًا من قول السّلطان غازان عندما أعلن أنّه جاء إلى الشّام للفرجة، فإذا هو يُهزم شرَّ هزيمة، فقال – من الكامل– :

قولوا لغازان بأنّ جيوشه جاءوا ، ففرّجناهمُ بالشام
في سرحة المَرْج الّتي هاماتهمْ منشورُها ، وشقائق الأجسام
ما كان أشأمَها عليهم فرجة غمّتْ ، وأبركها على الإسلام [٤٧]

أمّا الشّاعر الّذي رغبنا في التّوقف عنده، فهو شمس الدّين الطّيبي (الحسين بن محمد المتوفّى سنة ٧٤٣هـ – ١٣٤٢م) ، فقد نظم قصيدة طويلة تجاوزت المائة بيت، أورد الصّفدي اثنين وأربعين بيتًا نختار منها – من البسيط – :

برْقُ الصّوارم للأبصار يختطفُ والنقْعُ يحكي سحابًا بالدما يكفُ
يقي بهم ملّة الإسلام ناصرُها كما يقي الدّرّة المكنونة الصّدَفُ
وجاهدوا في سبيل الله وانتصروا من بعد لم وممّا ساءهم أنفوا
دارتْ عليهم من الشّجعان دائرةٌ فما نجا سالمٌ منهم وقد زحفوا
فرّوا من السّيف ملعونين حيث سرَوا وقُتّلوا في البراري حيثما ثُقفوا
وملّتِ الأرضُ قتلاهم بما قذفتْ منهم وقد ضاق منها المَهْمهُ القَذَفُ
والطّيرُ والوحشُ قد عافتْ لحومَهُمُ ففي مزاج الضّواري منهمُ قَرَفُ [٤٨]

ثمّ يخاطب السّلطان غازان بلغة العشق والغرام الّذي يضطرم بصدر غازان شوقا إلى دمشق، فقال – من البسيط – :

ما أنتَ كُفْؤُ عروس الشّام تخطبها جهلًا وأنتَ إليها الهائمُ الدَّنِفُ
قد مات قبلكَ آباءٌ بحَسْرتها وكلّهمْ مُغْرمٌ مُغْرىً بها كَلِفُ
إنّ الّذي في جحيم النار مسكنُهُ لا تستباحُ له الجنّاتُ والغُرَفُ [٤٩]

يبدو أن شعرًا في هذا المستوى الرّاقي، لم يكن نوعًا من الموالاة والمدح التّقليدي الّذي صيغت به المدائح، كما مرّ بنا في العصور السّابقة، إنّما هو شحنات التّوتر النّفسي في جنبات صاحبها، نابعًا عن عاطفة صادقة تهفو إلى حلاوة النّصر والزّهو بالانتصار .

ب – نفوذ الشّعر في الواقع، والطّموح، والفضل الكبير

درج بعض شعراء المماليك على مسايرة ومواكبته في المناسبات والمواسم وغيرها.. لكن بعضهم تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد من المواكبة، فبنوا لأنفسهم وفي معظم قصائدهم ، ولا سيّما المدحية هيكلًا أُطلق عليه اسم " دولة الشّعر" [٥٠]. وهي كناية عن مشاعر تفوّقٍ وتمايز دفعتهم إلى نوع من الفخر الذّاتي، في مضماري الشّعر والقريحة الشّعرية الّتي تدفع بالكلام الشّعري، ومن أولئك الشّعراء ابن نباتة المصري الّذي لا يتردد، وهو في حضرة المديح السّلطاني المؤيَّدي عن الاشادة بشعره وقصيدته مورّيًا ورامزًا بصورة شعرية لا تقل عن بعض صور الشّعر الرّمزي الحديث مكانةً وجمالًا فيقول – من الطّويل – :

لِبابكَ يا ابنَ الكرامين بعثتُها أوانِسَ من مَدْحٍ عن الغَيْر جَفّلًا
وأرسلتُها غرّاءَ كالغصنِ يانعًا وزهرِ الرّبى ريّانَ ، والرّيح سَلْسَلا
شببتُ لها فكري وفاحتْ حروفُها كأنّي قد دخّنتُ في الطّرس مندلا
وكم مثلِها أهديتُها طيَّ مُدْرجٍ تكاد لفرط الشّوق أن تتسلَلا [٥١]

وذهب ياسين الأيّوبي إلى القول: من يقرا هذه القصيدة لا يستغرب مما جاء به شاعر عربي معاصر هو الدكتور بِشْر فارس (١٩٠٧- ١٩٦٣) من شعري رمزي ينطوي على معانٍ متشابهة متداخلة، في قصيدته المسماة " إلى زائرة" والّتي مطلعها – من مجزوء الكامل – :

لو كنتِ ناصعةَ الجبينْ هيهات تنقضُني الزيارة
ما روعة اللفظ المبينْ السّحرُ من وَحْي العبارة [٥٢]

ومن الشّعراء من كان يرفض بعض الوظائف العالية، كمنصب القضاء، أكثر من مرّة، مفضّلًا عليه حياة حرة مستقلة لا ترتبط باي قيد من قيود الدّولة، كالشاعر علي بن سعيد البُصراوي المتوفّى ٦٨٤هـ – ١٢٨٥م، فالحياة عنده أمْن وصحة وشباب ومال، وقد نظم شعرًا في ذلك، فقال – من البسيط – :

أرى عناصرَ طِيبِ العيشِ أربعةً مازال منها فطيبُ العيش قد زالا
أمْنًا وصحة جسمٍ لا يُخالطها مُغايرُ ، والشّبابَ الغضَّ والمالا [٥٣]

أمّا هذا المفهوم الجميل للحياة لابدّ من توضيح نقطة ها هنا، وهي صعوبة تحقيق هذا النّمط من الحياة، وإن كان شيئًا مشروعا. ومن الشّعراء نراه يستسلم لشجون الحياة مكتفيا بالشكوى والتّذمّر ومن هؤلاء الشّاعر جمال الدّين أبو الحسن الجزّار (٦٠١- ٦٧٩هـ)، وهو أحد كبار الشّعراء في زمانه، وقد وصفه ابن تغري بردي فقال: " كان من محاسن الدّنيا، وله نوادر مستظرفة ومداعبات ومفاوضات مع شعراء عصره" [٥٤]، ومن أشعاره في شكوى الحياة ، فقال – من الطّويل – :

أُكلِفُ نفسي كل يوم وليلـةٍ همومًا على من لا أفوز بخيره
كما سوّد القصّار بالشمس وجْهَهُ ليجهدَ في تبييض أثواب غيره [٥٥]

والمقصود بالقصّار هنا مبيض الثياب. وكان شاعرنا يعيش من حرفة الجزارة – بيع لحم الماشية – ثمّ استرزق بالمدح فقصد قصور الأمراء والسّلاطين، وكسب ثروة كبيرة، ولكنه كان كثير

الانفاق مسرفًا على حرفته الأخيرة، وهي حرفة الشّعر والأدب فضلًا عن حرفته السّابقة، فقال – من الخفيف – :

يا أميرًا يُرجى ويُخشى لبأسٍ ونوالٍ في حرب وسلْمِ
لي من حرفةِ الجزارة والآ داب فقرٌ يكادُ ينسيني اسمي [٥٦]

ومن جميل الشّكوى ما نقله ابن دانيال الكحال المتوفّى سنة ٧١٠هـ ، الّذي يصف ما آلت إليه حاله من فقر مدقع وضيق ذات اليد على الرّغم من حرفة الكحالة – تطبيب العيون – الّتي كان يرتزق منها فيقول – من الكامل – :

أصبحتُ أفقرَ من يروح ويغتدي ما في يدي من فاقة إلّا يدي
في منزلٍ لم يحوِ غيري قاعدًا فإذا رقدتُ رقدتُ غير ممددِ
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرةٍ ومخدّةٍ كانت لأم المهتدي
مُلْقى على طراحةٍ في حشوها قملٌ كمثل السمسم المتبدد
والفأر يركض كالخيول تسابقت من كلّ جرداء الأديم وأجردِ
هذا ولي ثوبٌ تراه مرقّعًا من كل لونٍ مثل ريش الهُدْهُدِ [٥٧]

فالشّاعر يصوّر لنا حالته تصويرًا دقيقًا، فهو في حالة الفقر المدقع فقد بدأ بمنزله الصّغير الخالي من الآثاث، سوى حصيرة ممزقة فضلا عن صغر البيت الذّي لا يستطيع أن يمدد رجليه به، كذلك لا يجد ما يغسل ملابسه الممزقة وجسمه به ؛ ما أدى إلى انتشار القمل في فراشه وجسمه.

وأمّا ابن دقيق العيد فقد شكى محنته من الفقر ، إذ قال: – من الكامل – :

لَعمري ، لقد قاسيتُ بالفقرِ شدّةً وقعتُ بها في حيرةٍ وشتات
فإن بحتُ بالشّكوى هتكتُ مروءتي وإنِ لم أبُحْ بالصبر خفتُ مماتي
فأعظم به من نازلٍ بمُلمّةٍ يُزيلُ حيائي أو يُزيلُ حياتي [٥٨]

أمّا الشّعراء الّذين لم يرتزقوا بشعرهم ويبيعوه في أبهاء الملوك والأمراء، صفي الدّين الحلّي الّذي اختط لنفسه مبدأ سار عليه معظم الأوقات، وهو " ألّا يمدح كريمًا وإن جلّ، إلّا لما عدّه زادًا للمال في مديح النّبي والآل " [٥٩]. وبالفعل لم يحد هذا الشّاعر عن جوهر هذا الخط. فما مدح للمدح، ولا ألقى بشعره، مع الملْقين تقربًا وتنافسًا لرضى الأعيان؛ وإنّما ردّ جميل الملوك واحتفاءهم به وقَدَّر أياديهم البيضاء عليه، بما يملكه من جميل القول والثناء، ممثلًا بقول المتنبي– من البسيط –:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مال، فليُسْعِد النّطقُ إن لم تُسعد الحال

وهكذا فعل بني ارتق ، والناصر محمد بن قلاوون والملكيين الايوبيين :المؤيد والافضل اللذين [٦٠] لم ير في قصائده فيهما سوى الرّد الخلقي النّبيل ، عملا بما جاء في الآية الكريمة من سورة النساء : وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾

ت – الشّعر النّقدي المسؤول وظاهرة التّقديم والتّقدير

على الرغم من شيوع شعر المديح في ذلك العصر تمشيا مع تقاليد الشّعر العربي منذ الجاهلية – حتى عصر النّهضة الادبية، وكذلك شعر الغزل بقسميه الأنثوي والذّكري، سواء كان عفيفا او ماجنا فإننا لم نعدم شعراء وعوا مسؤوليتهم الأدبية، وموقعهم المميز في مجتمعا يسوده الجشع والغيرة والحسد وانعدام الحس القومي، فان هؤلاء الشّعراء اناروا دنياهم ببعض ما ملكوا من شموع الكلام والمعرفة، واشاروا إلى مواضع الفساد والإفساد والتّزلف والرّشوة والطّمع والجهل المستشري .

ومن النّماذج على ذلك القصيدة الرّائية للشّاعر الدّمشقي عبدالرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة. المتوفّى سنة ٦٦٥هـ، فقال – من الخفيف – :

لا تلمني على الفلاحة واعلمْ أنّها من أجلِّ كسبِ وأثري

وبها صنتُ ماء وجهي عن النّا سِ جميعًا وعشتُ في القومِ حُرّا

... كم رأينا مدرّسًا ومولى حقُّهُ أن يكون منه مُعَرّى

ضِحكةٌ للورى المدرّسُ والحا كمُ تلقى وليس يُحسنُ يَقرا

... إنّ منهم من كان يلثغُ بالقا فِ ، ومنهم منْ كان يلثغُ بالرّا

... والّذي كاتبَ التتار ومَنْ سا ... رَ إليهم قصدًا فأثْنى وأطرى
والّذي قد أتى الفواحشَ واستك ... برَ فاسألْ ماذا جرى إذ تَجرّا
والّذي مَيْلُهُ إلى نظْمِ دوبيـ ... ـتِ وتقريبِ مَنْ يذاكر شعرا
ولهُ في أكلِ الحشيشةِ رأيٌ ... وافقَ الفرعُ ليلًا وفجرا
صانني اللهُ عن مزاحمةِ القو ... مِ على منصبٍ فيا ربَّ صبرا
فتراهم لأجل حاجتهم بَيْـ ... ـنَ يديه في قبضة الذّلِ أسرى
حسدتني جماعةٌ قال منهم ... قائلٌ من هذا، ومن أين أثرى ؟
ويحَهُمْ ربُّنا هو الرازقُ يُعْـ ... ـطي قليلًا يُسأل، ويُعطي كثيرا[٦١]

فإنّ الشّاعر استطاع أن يُفصح في فضح عيوب المجتمع، وعرض ظواهرها، رافضا كل الغبن البشري، والنفاق الاجتماعي والكذب والتّدجيل، وهو هنا قد أظهر جرأةً قلّ نظيرُها بين أقرانه من الشّعراء.

أمّا شاعرنا ذو الصّيت اللامع وفحل عصره البوصيري (شرف الدّين محمد بن سعيد المتوفّى سنة ٦٩٦هـ – ١٢٩٦م) فإنّه يعدّ من أجرأ شعراء تلك الحقبة في تسجيل هفوات قومه شعبًا وحكّامًا وموظفين [٦٢] .

ومن شعره النّقدي المسؤول، ما أورده الصّفدي في كتابه " الوافي بالوفيات " فيما يخص كتّاب مباشري الشّرقية، فقال – من الوافر– :

أ مولايَ الوزيرَ غفلتَ عمّا ... يتمُّ من اللئام الكاتبينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفْنا ... بهم فكأنما سرقوا العيونا
ولولا ذاك ما لبسوا حريرًا ... ولا شربوا خمورَ الأندرينا
وقد طلعتْ لبعضهم ذقونٌ ... ولكن بعدما نتفوا الذّقونا
تفقّهتِ القضاةُ فخان كلٌ ... أمانتهُ وسمّوهُ الأمينا [٦٣]

وله قصيدة نقدية أخرى، نراه فيها يصدح صوته المكلوم وقلبه المحروم، كما نجد استغاثات الضّمير وجراحه، إنّها قصة فقره هو وعياله إلى حالٍ يُرثى لها، ولا يجد من يُعيله هنا غير قلمه الحر، ولسانه الفصيح المتفنن، فقال – من السّريع – :

يا أيّها المولى الوزيرُ الّذي أيّـامهُ طـابعـةٌ أمرهُ
إليكَ نشكو حالنا إننا حاشاك ، من قومٍ أُولي عُسْرة
في قِلّةٍ نحنُ ، ولكن لنا عائلةٌ فـي غايـة الكثـرة
... وأقبل العيدُ وما عندهم قمـحٌ ولا خبـزٌ ولا فِطـرة
فارحمهم إن عاينوا كعكعة في يد طفلٍ أو رأوا تمـرة
تشخصُ أبصارهم نحـوها بشهقـةٍ تَتْبعُـها زفْرة
كم قائلٍ يا أبتا منـهُم قطعتَ عنّا الخيرَ في كَرّة
ما صرتَ تأتينا بفلسٍ ولا بـدرهم وَدِقٍ ولا نُقْـرة
وأنتَ فـي خدمـة قومٍ فهل تخدمهم يا أبتا سُخْـرة[٦٤]

وقد لا نحيد عن الموضوعية إن نحن عرضنا لنماذج أخرى من شعر البوصيري الّذي نقرأه اليوم فنشعرُ وكأن صاحبه يعيش بين ظهرانينا، يُبَلْسِمُ الجرح جراح الفقراء والجياع بشعره، ويسمو معهم إلى بعض مراتب العزاء.

ونجده مادحًا للسلاطين عندما يراهم يقدمون إنجازًا جميلا ، كمدحه الأمير سِنجرِ الشّجاعي الّذي أشرف على بناء المدرسة المنصورية والمارستان المنصوري سنة ٦٨٤هـ – من الكامل– :

أنشأتَ مدرسةً ومارسْتانا لِتُصحّحَ الأجسامَ والأبدانا [٦٥]

ولم يقتصر مدحه على رجال الدّولة، بل تعدى إلى رجال الدّين، كما مدح الشيخ أبا العبّاس المرسي[٦٦]، وهو رجل دين صوفي، فقال – من الكامل– :

أمّا المحبّةُ فهي بذْلُ نفوسِ فتَنعُّمي يا مَهجتي بالبوسِ
بذَلَ المحبُّ لِمنْ أحبَّ دموعهُ وطوى حشاهُ على أحرّ رسيسِ[٦٧]

صَدِّقْ وقلْ من لم يقُمْ كقيامِهِ لمْ ينتفِعْ منهُ امرؤٌ بجلوسِ
قَبِلَ الإلهُ تقرّبي بمديحِهِ وتوجهي لجنابِهِ المحروسِ
أكرم بيوم الأربعاء زِيارةً لكِ إنّهُ عندي كألفِ خميسِ[٦٨]

أمّا الشّاعر ابن المُنيّر (أبي العبّاس أحمد محمد المتوفّى سنة ٦٨٣هـ- ١٢٨٤م)، وقد مارس القضاء فحكَمَ وعدلَ وقدّر القضاة العادلين وردّل الجائرين، وها هو ذا يمدح القاضي الأديب شمس الدّين ابن خلكان، فقال – من الخفيف – :

ليس شمسُ الضحا كأوصاف شمس الدّ دِينِ قاضي القضاة حاشا وكلّا
تلك مهما علتْ محلّا ثنتْ ظِلْـ ـلّا وهذا مهما علا مدَّ ظِـلّا [٦٩]

أمّا القاضي الظالم الّذي يهجوهُ شاعرنا هنا، فهو **زين الدين بن أبي الفرج** لمّا نازعه في الحُكم، فقال – من الخفيف – :

قلْ لمَنْ يدّعي المناصبَ بالجهْـ ... لِ تنحّ عنها لِمَنْ هو أعلمْ
إنْ تكنْ في ربيــع وُلّيتَ يومًا فعليكَ القضاءُ أمسى محرّمْ [٧٠]

أمّا الشّاعر شهاب الدين الأعرج السعدي المتوفّى ٧٨٥هـ – ١٣٨٣م، فقد تصدّى للنقد السّياسي العام ، بدءًا بالشعوب الغربية، وانتهاءً بالسلطان نفسه، مع الإشارة أنّ هذا الشّاعر مؤدب أولاد الأكابر ، ومع ذلك فقد رفض السياسة المالية، فقال – من الطّويل – :

وكيف يروم الرّزق عاقلٌ من دونه الأتراكُ بالسيفِ والترسِ
وقد جمّعتْهُ القبطُ من كل وجهةٍ لأنفسهم بالرُّبعِ والثّمنِ والخُمسِ
فللتُرْكِ والسّلطانِ ثلث خراجها وللقبطِ نصفٌ ، والخلائقُ في السّدسِ [٧١]

ولم يقف الشّعر عند حدود الهجاء والسّخرية وعرض السلبيات، بل صار إلى الرّثاء الّذي وظفوه هو الآخر، لإظهار نقمتهم على المفتري والمعتدي، وألمهم وعذابهم لأجل الضحية البريئة، سواء أكان ذلك لدى عامة الشّعب، أم في علية القوم.

وخير مثال نذكره في هذا المجال قصة الأمير تنكز[٧٢] (سيف الدّين أبي سعيد) نائب السّلطان النّاصر محمد بن قلاوون على الشّام، وكان عنوان المسؤول الحكيم الحليم الشّجاع المدبّر لشؤون الرّعية، الحافظ أمانات النّاس . أحبه السّلطان وأكرمه ، وكتب إليه أحسن النّعوت والألقاب، ما لم يفعله من نائب غيره ؛ فما كان من الأمراء والنّواب الآخرين إلّا أن دبّروا له مكيدة محكمة، حوّلوه بعدها من الرجل النّزيه العفيف اليد والفرج إلى مجرم حرب نُفذت في حقّه عقوبة الإعدام [٧٣]، فكان صوت الشّعر هنا من أصفى الأصوات وأصدقها، لم يصدر عن زُلفى أو مصلحة أو أي غرض آخر، تجسّد ذلك في مراثي الشّعر **للأمير تنكز** ، حفظت فضائل الأمير وخلّدتها على الأيام، بعد أن طمسها فسادُ الخلق اللئيم، وحاول دفنها مع صاحبها فما أفلح.

ولقد أجاد الشّاعر الصلاح خليل بن أيبك الصّفدي في مرثيته الميمية الّتي ضمنها مشاعره الصّادقة، وسخط القدار الّتي تضع الرّفيع وترفع الوضيع، فقال – من الخفيف – :

كذا تسري الخُطوبُ إلى الكرامِ وتَسعى تحتَ أذيال الظلامِ
... فكم مَلكٍ غدا في الأمن دهْرًا وآلَ إلــى انتقالٍ وانتقامِ
إذا ما أبـرمَ المقدارُ أمـرًا رأيتَ الصّقرَ من صيدِ الحمامِ
وهل يُرجى من الدّنيا وفـاءٌ ولم تُطْبَـع على رعي الذّمامِ
تنكرّ يوم تَنْكز كلُّ عُـرْف وسامَ الذّلُّ فينا كلّ سـامِ
بكيتُ دمشق لمّا غاب عنْهـا وأوحشَ أُفقها بدرُ التّمامِ
فيا تمزيق شمل العَدلِ فينا ويا تفريق ذاكَ الانتظامِ
ويا لمُصيبـةٍ بدمشق حلّت شدائدُها بأحداثٍ عظـامِ[٧٤]

ثمّ يعرض الصّفدي لعدل المرثي وبأسه وشدة هيبته على الأعداء، في معاقلهم ، ويختم قصيدته الّتي بلغت اثنين وأربعين بيتًا، بذكر الفضل والخير وإحقاق الحق ، فقال – من الوافر – :

ألا فاذهبْ سُقيت أبا سعيدٍ فقد روّى زمانُكَ كُلَّ ظامِ
وكنتَ إذا دَجَا ليلُ القضايا وكانت من مهمّاتٍ جِسامِ
تُفرّجُها بقولٍ منك فَصْلٍ لأنّ القولَ ما قالت حَذام

وقبل أن نختم الكلام في هذه الفقرة، لابدّ من التّعرض لموضوعة أخرى تتصل بموضوعة النّقد السّياسي والاجتماعي والدّيني، وهي أنّ علاقة الشّعراء بمن يمدحون لم تكن تقوم قائمةً دائمًا على مادح وممدوح، يقف الأول في رتبة دنيا والثّاني في رتبة عليا، بل كثيرًا ما توحّدت الرّتبُ وتساوت المقامات، وصدر المدحُ تلقائيًا مع خلجات الوجدان، وليس غرضه المدح التّقليدي.

٣ – الشّعراء المادحون

أ – المادحون ليس من أجل المال :

حينما انتصر صلاح الدّين في موقعة " مرج عيون " غنّى الشّعر في كل مكان، وانطلق صوتُ ابن التعاويذي من العراق ينشد قصيدته فقال– من الكامل – :

إن كان دينُك في الصّبابة ديني فقف المطيَّ برملتي يَبْرِينِ
ليت الضّنين على المحبّ بوصله لَقِنَ السّماحة من صلاحِ الدّين
ملكٌ إذا علقت يدٌ بذمامه علقت بحبل في الحفاظ متين
كاد الأعادي أن يصيبك كيدها لو لم تكدك برأيها المأفون
فهوت نجوم سعودهم وقضى لهم بالنّحس طائرهم بمرج عيون [٧٥]

وقد مدح الأمير أسامة الوزير المصري المرافق القائد ضرغام ، فقد ذكر مآثره وأعماله الخالدات ، وكشف من سجله الجهادي صفحات في تاريخ العرب والإسلام يباهي بها الدهر فقال – من الطّويل – :

واني أمّني النّفس لثم بنانه وما كان قبلي للسحائب لاثم
فدُمتَ ودامتْ هالةٌ أنت بدرها وملكك ما كرَّ الجديدانِ دائم [٧٦]

وأمّا ابن دانيال الحكيم الكحال المتوفّى سنة ٧٠٨هـ ، فقد مدح الإيوان الّذي بناه الأشرف خليل بادئًا قصيدته بمدحه، فقال – من البسيط :

ما كان مثلك في الإسلام سلطانُ ولا لكسرى كذا الإيوانِ إيوانُ
ذاتُ العمادِ تبدّت في جوانبه بل جنّةُ الخُلْدِ والبوابُ رِضوانُ

إن غبتَ عنه فشخصٌ منك يملأه مَهابةً يتّقيها الإنسُ والجانُ
صوّرتَ جَيشَكَ فيه مثل عادته كأنهُمْ في ظهور الخيلِ سُكّانُ
لا يسأمون ركوب الخيل في طلب الأ عداء يومًا ، ولا يُلهيهمُ شانُ
سيوفهم بدماء الكُفرِ قد رويت سفْكًا وكلٌّ إلى الهيجاء عطْشانُ [٧٧]

وسبق للبوصيري المتوفّى سنة ٦٩٦هـ، ان ادّعى أنّه لا يمدح لمالٍ، بل لوداد وصحبة، فأنشد في مدح أحد الأمراء، بعد أن عرّض بالحسبة والمحتسب ، والعطايا، فقال – من البسيط – :

فإنني لا أرى المديح به للمال بل للوداد والصّحبّه
والشّعر عندي أخ العدالة لا أحـ سبُ أقواله ولا كسبــه

ب – المدح لأجل المصالح والهبات :

لمّا ولي القاضي كمال الدّين بن الزّملكاني قضاء حلب، قصدته الشّعراء من دمشق وسواها، فأجازهم وخلع عليهم، وكان فيمن قصده الشّاعر الشّاب شهاب الدّين أبو بكر ابن نباتة، الّذي امتدحه بقصيدة طويلة حافلة، أزيد من خمسين بيتًا، فأجازه عليها بكسوة ودراهم ، أولها – من الكامل – :

أسفت لفقدكَ جلّقُ الفيحاءُ وتباشرت لقدومك الشهباءُ
وعلى دمشق وقد رحلت كآبة وعلا ربا حلب سنا وسناءُ
قد أشرقت دارٌ سكنتَ فناءها حتّى غدت ولنورها لألاءُ
يا سائرًا سقيُ المكارم والعلى ممن يبخل عنده الكرماء
هذا كمال الدّين لُذْ بجنابه تنعم فثمَّ الفضل والنعماء [٧٨]

ومدح ابن نباتة الوزير ابن خضر ذاته ، فقال – من الكامل – :

ولقد قصدتك شاكيًا حرّ الظما فكرعت فعذب الصّلات برودها
وتقلّدت عنقي عطاياك الّتي حكّمت في الأيام عن تقليدها
فلا يسمعنّك ما ترنّم صادح مدحًا يصغّر ماضيات وليدها
لا ينبغي حرّ المقال فريده إلّا على حر الكرام فريدها [٧٩]

وفي مدحه، قال ابن نباتة موجهًا كلامه إلى جمال الدّين بن الشّهاب محمود، قال – من البسيط – :

ينطقني جودك المرتجى ويدعو اللسان إلى صدحه
فأجلب نظمي ونثري لـه وأروي الصّحيحين عن مدحه

أمّا شاعرنا البوصيري الّذي انّه لا يمدح لمال، فإذا به يستجديه بدهاء، ويستوطن أبوابه ، ويسترحمه بقوله – من السّريع – :

فارحم لبيبا يومًا دعاك وقد بلّغت الجوعُ روحه اللبّة[٨٠]
لو عمْر ابن المعمار خوّله نيابة الخدمتين والخطبة
ولم يدعه كلاً على أحد بغير نفع كأنّه ولْبة
حاشاك يا من أبوابه وطني تختار لي أن أموت في الغربة
وأنّ حالي وحال عائلتي لا يحملون النّوى ولا الغربة
أنت الأمير المعيد ألسننا كالعود منه بذكره رطْبِة
السّابق الأولين في كرم لمّا جرى والكرام في حلبة [٨١]

وبالعموم ، وإن بات التّكسب بالشّعر استجداء وتزلفًا، إلّا أن الشّاعر كان فيه على جانب كبير من الذّكاء في اقتناص المنح والهبات والعطايا .

والشّاعر العربي لم يكن غافلا عمّا يدور في بلاده من أحداث، ولا براضٍ عن الحالة الّتي استكان إليها في ظلّ الغلبة والقهر ... إنّما كان كلّما استبشر بفتح، أو لاحت له بارقة أمل في قائد، أو توسم خيرًا في غدٍ أفضل ... كان يهبّ ليعبر عمّا يجيش في صدره، فهذا شهاب الدين محمود قال من قصيدة يمدح الملك الظّاهر بيبرس لمّا خاض الفرات بنفسه، فألقت العسكر بأنفسها خلفه، ووقع على التتار فقتل منهم مقتلةً عظيمة وأسّر منهم خلقا كثيرا[٨٢]، فقال – من الكامل – :

حملتك أمواج الفرات ومن رأى بحرًا سواك تقلّــهُ الأنهارُ
وتقطّعت فرقًا ولم يكن طودها إذ ذاك إلّا جيشُكَ الجــزّارُ
رشّت دماؤهم الصعيدَ فلم يطر منهم على الجيش السّعيد غبارُ
شكرت مساعيك المعاقل والورى والتّرب والآسـاد والأطيارُ

هذي منعتَ وهؤلاء حميتـهم وسقيتَ تلك وعمّ ذي الإيثار[٨٣]

وفي هذه الواقعة قيلت أشعار كثيرة، تبارى فيها الشّعراء بالتعبير عن صدق مشاعرهم، وافتخروا بانتصار جنود الله على جيش الشّرك، وأثنوا على الظاهر وافتدوه لأنّه نصر دينهم، وحفظ عرضهم وأرضهم، وشفى غلهم من التتار ، وبكل عفوية قال الحكيم موفق الدين عبد الله بن عمر، المعروف **بالورن** المتوفّى ٦٧٧هـ – من مجزوء البسيط – :

الملك الظّاهر سلطاننا نفديه بالمال وبالأهل
اقتحم الماء ليطفي بـه حرارة القلب من المغل [٨٤]

وقد خلّد الشّاعر الشّهاب محمود الحلبي استيلاء الأشرف خليل بن قلاوون المتوفّى ٦٩٣هـ ، على مدينة عكّا سنة ٦٩٠هـ، وهي أكبر المدن المتبقية في أيدي الصليبيين وسقوطها يعني نهايتهم فقال – من البسيط – :

الحمد لله ذلّت دولة الصّلب وعزّ بالترك دين المصطفى العربي
ما بعد عكا وقد هدّت قواعدها في البحر للشرك عند الله من أرب
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها لديك شيء تلاقيه علـى تعب
فانهض إلى الأرض فالدّنيا بأجمعها مدّت إليـك نواصيها بلا تعـب [٨٥]

وكذلك مدح الشّهاب الأشرف خليل، على فتحه قلعة الرّوم سنة ٦٩١هـ، أظهر فيها عظمة الممدوح وشدّة بأسه، وأثنى فيها قوم الأشرف وشجاعتهم وعظمتهم، فقال – من الطّويل – :

وما قلعة الرّوم الّتي حزتَ فتحها وإن عظمـت إلّا إلى غيرها جسر
طليعة ما يؤتى من الفتح بعـدها كما لاح قبل الشّمس في الأفق الفجر
فيا أشرف الأملاك فزت بغزوةٍ تحصل منها الفتـحُ والذّكر والأجر
ليهنك عند المصطفـى أنّ دينـه توالى لـه في يمن دولتك النّصـر
وبشراك أرضيت المسيح وأحمدا وإن غضب اليعفور من ذاك والكفر

فسر حيث ما تختار فالأرض كلّها تطيعك والأمصار أجمعها مصـر
ودم وابقَ للدنيا ليحيا بك الهدى ويزهى على ماضي العصر بك العصر [٨٦]

وفي الختام إنّ ما أوردناه من أمثلة شعرية ، ماهي إلّا نماذج وشواهد نستدلّ بها على ما قدمنا من معلومات تخصّ، موضوع البحث، ولا نريد ذكر الكثير من الأمثلة في هذا الصّدد؛ لأنّه لا يسعنا هذا المختصر.

الهوامـــــش

[١] - ينظر آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي، جرّوس برس، ص٢٦٠.
[٢] - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد ١٣٥٠هـ، ج١، ص٣٧١.
[٣] - ينظر آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، مرجع سابق، ص٢٦٠.
[٤] - ابن نباتة المصري، عمر موسى باشا، دار المعارف بمصر، ص١٥٦.
[٥] - ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بلا تاريخ، ص١٩٠.
[٦] - ديوانه نفسه، ص١٩٠.
[٧] - ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر – بيروت، ص٢١٠.
[٨] - صفي الدّين الحلّي، ياسين الأيوبي، دار الكتاب اللبناني، ص٥١.
[٩] - آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي، ص٢٦١.
[١٠] - ياسين الأيّوبي، صفي الدين الحلي،ص٤٢.
[١١] - هذه القصائد في ديوانه ، طبعة بيروت ، (ص٧٠٥- ٧٦٢)، نقلا من كتاب آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي .
[١٢] - ديوانه ، ص٧٠٦.
[١٣] - ينظر آفاق الشعر العربي، مرجع سابق.
[١٤] - المُشِد هو الموظف الذي يرافق الوزير ويستخلص الأموال وما يشبهها . ولد سنة ٦٠٢هـ وتوفي بدمشق (ينظر النجوم الزاهرة ، دار الكتب المصرية، ج٧ص٦٤) .
[١٥] - السلطان الظاهر بيبرس هو السلطان الخامس من سلاطين دولة المماليك البحرية حكم بين ٦٥٧هـ إلى ٦٧٦هـ ، ينظر حاتم ريسان هاشم الموسوي ، جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللغوي مع الثقافة عبر الشعر – العصر المملوكي أنموذجا - أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية في لبنان ، ٢٠١٧م، ص٨.
[١٦] - ينظر النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢١٩.
[١٧] - المصدر السابق نفسه،ج٧، ص٢٢٤.
[١٨] - المرجع السابق نفسه، ج٨، ص١٨٩-١٩٠.
[١٩] - آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص٢٦٣.
[٢٠] - الأشرف خليل بن قلاوون هو السلطان التّاسع من سلاطين الدولة المملوكية البحرية، والذي حكم من سنة ٦٨٩هـ إلى ٦٩٣هـ ، ينظر حاتم ريسان أطروحة دكتوراه (جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللغوي ...)، ص٨.

[٢١] - النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥٤.
[٢٢] - آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص٢٦٤.
[٢٣] - ابن الأزرق" بدائع السلْك في طبائع المُلْك " ج١، ص٩.
[٢٤] - ينظر آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص٢٦٥.
[٢٥] - ولد ابن شقير في دمشق، سنة ٦٠٦هـ، وتوفي فيها سنة ٦٦٩هـ (عن النجوم الزاهرة ج٧، ص٢٣٦) .
[٢٦] - ولد السليماني في إربل سنة ٦٠٢هـ وتوفي في مدينة الفيوم سنة ٦٧٠هـ (النجوم الزاهرة ج٧، ص٢٣٦) .
[٢٧] - ولد التلّعفري – وهو من تلّعفر إحدى ضواحي الموصل ، وتوفي بحماة سنة ٦٧٥هـ ، ينظر الشذرات ج٥،ص ٣٤٩، والنجوم الزاهرة ج٧، ص٢٥٥، وفوات الوفيات ج٤، ص٦٢.
[٢٨] - آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، مرجع سابق ص٢٦٦.
[٢٩] - ولد ابن تولوا سنة ٦٠٥، وتوفي سنة ٦٨٥هـ، عن النجوم الزاهرة ج٧،ص٣٦٩.
[٣٠] - فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، تح إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٧٤، ج٢،ص٤٤١.
[٣١] - آفاق الشعر العربي ، مرجع سابق، ص٢٦٦.
[٣٢] - المرجع السابق، نفسه، ص٢٦٧.
[٣٣] - المرجع نفسه، ص٢٦٧.
[٣٤] - المرجع نفسه، ص٢٦٧.
[٣٥] - صفي الدين الحلي، ياسين الأيّوبي، ص٥٠.
[٣٦] - ديوان صفي الدين الحلي، ص ٢١٥-٢١٧.
[٣٧] - مقدمة ديوان صفي الدّين الحلّي، نقلا عن ياسين الأيّوبي، آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ص٢٦٨.
[٣٨] - آفاق الشعر العربي ، مرجع سابق، ص٢٦٩.
[٣٩] - ففي المعنى القانوني، يعرف البروتوكول على أنه اتفاقية دولية أو معاهدة ما . أمّا في العمل الدبلوماسي فهو يطلق على مجموعة القواعد والاجراءات والاتفاقيات والاحتفالات التي تتصل بالعلاقات بين الدول. (ويكيبيديا) .
[٤٠] - نزهة النفوس والأبدان، ابن داود الصيرفي ، القاهرة، ١٩٧٠، مج١، ص ٤٤.
[٤١] - السلطان الأشرف خليل هو السّلطان التّاسع من سلاطين دولة المماليك البحرية، حكم من ٦٨٩هـ إلى ٦٩٣هـ ، ينظر حاتم ريسان هاشم أطروحة دكتوراه، ص٨.
[٤٢] - البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، مج ١٣، ص ٣٢٧، وينظر فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، ج٤، ص ٨٢.
[٤٣] - السلطان قطز : هو رابع سلطان في دولة المماليك البحرية حكم سنة واحدة سنة ٦٥٧هـ .
[٤٤] - الأدب في بلاد الشام، عمر موسى باشا ، ط٢، المكتبة العباسية، دمشق، ١٩٧٢، ص٤٧٧.
[٤٥] - المنصور قلاوون: هو ثامن السلاطين في دولة المماليك البحرية حكم من ٦٧٨هـ إلى ٦٨٩هـ . ينظر حاتم ريسان هاشم ، أطروحة دكتوراه ، مرجع سابق، ص٨.
[٤٦] - آفاق الشعر العربي، ص٢٧٣.
[٤٧] - الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي، دريد رينغ ، ١٩٧٤ج٤، ص ٣٦٢.
[٤٨] - المصدر السابق نفسه، ص٣٦٢.
[٤٩] - الوافي، ج٤، ص٣٦٢.
[٥٠] - ينظر آفاق الشعر العربي، ص٢٧٤.
[٥١] - ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، عمر موسى باشا، دار المعارف بمصر ، ط٢، ١٩٧٢، ص١٦٠، وفي هذا المرجع مزيد من الشّواهد على " دولة الشّعر " ص١٦١وما بعدها.
[٥٢] - آفاق الشعر العربي، مرجع سابق، ص٢٧٤.

[٥٣] - النجوم الزاهرة ، ج٧ص٣٦٦.
[٥٤] - النجوم الزاهرة ، مرجع سابق، ج٧، ص٣٤٥.
[٥٥] - المصدر نفسه ، ص ٣٤٦.
[٥٦] - شذرات الذهب ، ج٥، ص٣٦٤.
[٥٧] - فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٣.
[٥٨] - ابن دقيق العيد حياته وديوانه، دراسة في الأدب المصري، تقديم علي صافي حسين، دار المعارف بمصر- القاهرة، ص١٥٨.
[٥٩] - مقدمة ديوان صفي الدّين الحلّي، ص١٠.
[٦٠] - افاق الشعر العربي ، مرجع سابق ص٢٧٦.
[٦١] - المرجع السابق نفسه، ص٢٧٨.
[٦٢] - ينظر ياسين الأيّوبي، صفي الدين الحلّي ، ص ١١٩.
[٦٣] - الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٠٦.
[٦٤] - المصدر السابق نفسه، ص١٠٨- ١٠٩،
[٦٥] - ديوانه، ص١٨١.
[٦٦] - أبو العباس المرسي : هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي، عالم دين صوفي وأحد أبرز رجالات الصوفية ولد سنة ١٢١٩م في مرسية اسبانيا ، وتوفي في الاسكندرية سنة ١٢٨٦م .
[٦٧] - الرسيس: ابتداء الحمى.
[٦٨] - ديوانه، ص١١٣.
[٦٩] - النجوم الزاهرة، ٧، ص ٣٦٢.
[٧٠] - المصدر السابق نفسه.
[٧١] - الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٣٥.
[٧٢] - آفاق الشعر العربي، مرجع سابق، ص٢٨١.
[٧٣] - راجع القصة في : الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٢٠ – ٤٣٠.
[٧٤] - الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٣٣.
[٧٥] - ديوان ابن التعاويذي، تقديم مرجليوث، ١٩٠٣م، طبع بمصر ، ص ٤٢٢
[٧٦] - مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ ، ص١٣٠.
[٧٧] - المرجع السابق، ص٢٠١.
[٧٨] - الشعر العربي أيام المماليك، خالد إبراهيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣ ، ص٣٣٧.
[٧٩] - المرجع السابق، نفسه، ٣٣٨.
[٨٠] - اللبة : النـحر.
[٨١] - ديوانه، ص ٥٢.
[٨٢] - ينظر الشعر العربي أيام المماليك، مرجع سابق، ٣٤٦.
[٨٣] - فوات الوفيات ، ج١، ص ٢٤٠.
[٨٤] - المصدر السابق، ج١، ص٢٣٩، وينظر المنهل الصّافي، مصدر سابق، ج٣، ٤٥٨.
[٨٥] - فوات الوفيات، ج١، ص٤١٠.

[٨٦] - المنهل الصافي ، ج٥، ص٢٧٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١- ابن دقيق العيد، حياته وديوانه، دراسة في الأدب المصري، تقديم علي صافي حسين، دار المعارف بمصر، ١٩٠٣.
٢- ابن نباتة المصري ، عمر موسى باشا، دار المعارف بمصر، بلا ت، بلاط.
٣- آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي، جرس برس، بلا ت، بلا ط.
٤- الأدب في بلاد الشّام ، عمر موسى باشا، ط٢، المكتبة العباسية، دمشق، ١٩٧٢.
٥- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٧٨.
٦- الدرر الكامنة في أعيان السنة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد ١٣٥٠هـ.
٧- الشّعر العربي أيام المماليك، خالد إبراهيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣.
٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، دار الكتب المصرية.
٩- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصّفدي، دريد رينغ، ١٩٧٤.
١٠- جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللغوي مع الثقافة عبر الشّعر، أطروحة دكتوراه ، حاتم ريسان هاشم ، الجامعة الإسلامية في لبنان، ٢٠١٧.
١١- ديوان ابن نباتة، المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، بلا ت.
١٢- ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر – بيروت، بلاط، بلا ت.
١٣- ديوان ابن التعاويذي، تقديم مرجليوث، ١٩٠٣، طبع بمصر.
١٤- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تح إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٧٤.
١٥- مطالعات في الشّعر المملوكي والعثماني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٧٢.
١٦- نزهة النّفوس والأبدان، ابن داود الصيرفي، القاهرة، ١٩٧٠.